نشر صاحب فندق اعلاناً باحدى الصحف وهو يقول فيه ان كل رجل يستطيع ان يثبت ان طعامي مضر فله جائزة على ذلك ان ياكل عندي شهراً مجاناً

* * *

افتخر رجل لدى آخر بامرأته فقال له انني ما وجدت احسن منها فانني منذ سافرت للان وكتبها لي لم تنقطع عني يوماً واحداً فاجابه الرجل لقد كان يجب عليك ان تعطيها نفقتها الكافية ثم تسافر

* * *

يقال ان الرجل الذي يمد ا لاك التلفون ميحملااشق الاعمال لا يزول اعتقاده بانه لا اشق منه الا حين يرى امرأة تنشر الثياب على سطح المنزل في يوم عاصف

* * *

قرأت امرأة جريدة فيها اخبار الحرب الترانسفالية فصارت تبكي فقالوا لها ما يبكيك فقالت يبكيني ما يقاسيه العساكر من الآم الجراح فلماذا لا يخدرون كل عسكري قبل المعركة بالكلوروفورم

* * *

قال رجل لآخر الا تظن ان فلاناً الخياط يأتمنني على بدلة لو صنعتها عنده بالدين فاجابه وهل يعرفك قال لا قال اذن لا تخف فانه يأتمنك

* * *

اختصم رجل مع امرأته لدى جماعة فقال لهم انها تعامل عندي كالملائكة فقالت لهم لقد صدق اذ ليس ما آكل عنده ولا ما البس

أنيس الجليس

﴿ الجزء الحادي عشر — السنة الرابعة ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠١ ﴾

﴿ الموافق ١٨ شعبان سنة ١٣١٩ ﴾

فصل

في بيان الشهرة

الشهرة مطاب كل انسان ومأمول كل امرىء لانها من جملة اسباب الجاه والكرامة وهي اذا كانت لا تنيل صاحبها مالاً في بعض الحالات والمواضع كأن تكون شهرة علم في مثل بلادنا الان فانها تنيل نفسه علواً وتكسبها شرفاً وهو مايفيده مسرةً وجذلا ويكون ذلك من اقل منافع الشهرة لمن لم ترزقه حظوظه مالا او تكون كتعزية لمن تكون شهرة فضله شؤماً عليه

وتكاد تختلف الشهرة بين الناس كاختلاف حالاتهم وتباين مطامعهم فان منها ما هي شهرة علم بجميع ما ينطلق عليه بيان العلم وتعريفه . ومنها ما تكون شهرة غنى بكل ما يستفاد من معنى المال وقوته . ومنها ما تكون

شهرة واردة من عند الطبيعة مكتسبة من عطايا الله وهباته كأن يخلق المرء مفرطاً في قوته فيشتهر او بارعاً في في جماله فيعرف او متناهياً في جودة صوته فيذكر . وهذه الحالات الطبيعية من اكثر حالات الوجود عوناً على الشهرة كما انها كثيرة جداً لا يضبطها قلم ولا يعيها قرطاس

ثم تكاد الشهرة بمعناها الشائع ان تكون منتشرة بين كل الناس مخصوصاً بها كل فرد وذلك بان تكون بادية في سجية من سجاياه او مسببة عن فعل من افعاله . واذا لم يكن المرء مشهوراً في كل بلاده فانه قد يكون شهيراً في بلده معروفاً في قريته او مذكوراً بالخصوص لدى قبيلته وبني عشيرته كل على حسب ما يمتاز به من تخصيص الطبيعة وتميز الجهد والتحصيل

ولكن الشهرة وان تكن منتشرة بين كل الناس وهي من مطالب الجميع كما قلنا فانها على موجب الحد اللائق بها او التعريف المخصوصة به تعد قليلة الانتشار جداً بين الناس وكثيراً ما تكون شهرة كاذبة كشهرة الجمال مثلاً او الصوت وسائر مواهب الطبيعة البدنية . ومنها ما تكون شبه كاذبة او محدودة المكان والوقت مهما كانت ممتدة ومنوهاً بصاحبها بين قومه او اهل بلاده وممكنته ولذلك كثيراً ما نرى الرجل يملأ الاذان خبره ويحشو المسامع ذكر ما انفرد به عن غيره حتى تتحاسده القلوب وتتمنى منزلته النفوس ثم يموت فاذاهو شيء ليس بالمذكور الا الى الحين القصير والمدة الضيقة ولذلك كانت الشهرة بحقيقة معناها سواء ارسلت من بين مواهب الله وعفوه او وردت من عند الانسان وجهده معدودة من اندر حالات الوجود لان الشهرة الحقيقية انما هي خلود الانسان وبقاؤه الى الابد مأثورة اقواله مذكورة افعاله محفوظاً رسمه ومثاله وليس هذا بالمطلب السهل ولا

هو مما سمحت به الاقدار لكثيرين بل اننا لو حسبنا المخلدين منذ القدم الى الان لوجدنا ان الواحد منهم لم يخلص الينا اسمه الا من بين عشرات من الملايين الذين كان بينهم فهو على هذه الصفة يحسب حياً منذ زمانه الى الابد ويكون معادلاً بعمره اعمار كل من تبقى من بينهم . ومن اجل هذا نجد كل من آنس من نفسه الاختصاص بهذه الشهرة هاجراً ملذاته منفقاً امواله مخاطراً بحياته وكل هذا من اجل ما اودعته اياه الطبيعة من الشعور بالمسرة في هذه الغاية العظمى . ونظن انه لولا تسخير الطبيعة للانسان وايداعها نفسه هذا الشعور النادر لما جرى في الدنيا قلم على قرطاس ولا استل حسام من غمد ولا جرى فرس براكب ولا سارت سفينة بمسافر ولا كان حقيقة ما يقال من ان احاداً يعدلون بالوف

ولقد يظهر للجميع ان الشهرة بعمومها وقتية او مخلدة انما هي فخر وجاه لصاحبها في حالي بقائه وذهابه ولكن الحقيقة ان من الشهرة ما يوجب المذمة ويقتضي اللعنة ويسبب الاحتقار الدائم والشين الملازم فان المجنون الابله الذي تبدو منه غرائب الاذى والضرر في بلاده يكون شهيراً فيها ومذكوراً من كل اهلها ولكنها تكون شهرة قبح وامتدادها امتداد عار واثم وكذلك الفاتك الجاني الذي يقتل ملكاً عظيماً او يفتك باحد اولي الشهرة المخلدين فانه يكون مشهوراً مخلداً مثله ولكن شهرته تكون سبة لاصقة به للابد وهي لو لم تكن كذلك لاحتال الناس احتيالاً على ان يمنعوها عنه ويسلبوه اياها ولكن شهرة الشر والاثم لا تكون صادرة عن صاحبها الا وهو مكره عليها او دون تدبر سابق منه بانه سيكون شهيراً بما اثم وجنى . ولعل تخليد الشريرين او ذكر الناس لاسمائهم من بعدهم معدود من قبيل العقاب الدائم

لهم ليكون السامع بهم كانه شاعر عنهم بمنقصتهم فيكون ذلك داعياً للابتعاد عن الشر النادر او ليكون العار اللاصق باعقابهم واقربائهم من بعدهم دون جناية منهم كنذير يمنع عن الشر كل من يشفق على سمعة قومه وصيت بلدته لانه كما ان المخلد تتناهب الناس التشرف به وتدعي كل بلد انه كان منها وكل مكان انه ولد به فكذلك المخلد المذموم تتبرأ منه الناس وتنكره البلدان حتى لو امكنهم ان يجعلوه من غير مواليد الارض لفعلوا

اما اسباب شهرة الفضل المخلدة فكثيرة لا نعيبها وليس من قصدنا لو ذكرناها ان نكون كبدالين عليها او مغرين بها لان الفضل شائع معروف وكل من اجتهد ورزق احدى مواهب الفضل حتى يكون نافعاً للناس في كل مكان وزمان فلتشق نفسه وليطاب ضميره بانه المخلد الدائم المشرف ترابه المبارك لحده المحمودة عشيرته المقصودة بلاده. ولكن الذي نريد ان نذكره انما هو شيء منها او شيء يعد غريباً حين القياس الى ما ينبغي لها ويجب من الجهد لتحصيلها وعندها نعلم ان الفضل مهما قل وضاقت جوانبه ثم كان باهراً عظيماً من حيث هو فانه مما يضمن الخلود لصاحبه ويكون كفيلاً له بدوام الذكر وبقاء الاعجاب والثناء

ولقد قلنا ان الشهرة تكون من كل شيء تقريباً ولكن من غريب ما في الشهرة المخلدة انها اقرب الى حسن الحظ ومواتاة البخت منها الى حسن السعي وجودة العقل فاننا نشاهد الانسان ينفق كل حياته بين الافلام والمحابر او بين الصفوف والعساكر فيكون عالماً عظيماً او قائداً فاتحاً ولكنه لا نمر عليه مدة قصيرة بعد موته حتى ترى الناس قد نسيته واغفلت ذكره مع انه يكون قد اجاد وافاد. ثم ترى غيره قد فعل فعله او لم يفعل الا معشاره ثم

يكون له الذكر المخلد. وذلك اما بتوفقه الى تصنيف اتفق انه جاء منه عظيماً نادراً فذكر به ونسيت سائر اقواله او بانتصار باهر قدّر ان كان له شأن فشرف به مع انه لا يكون مذكوراً بالقياس الى ما تقدم له وما تفرق من اعماله

اما الذين اشتهروا وسادوا من عمل واحد نسيت به سائر اعمالهم ولولاه لما كانت مذكورة فانهم كثيرون بل يكاد اكثر المخلدين يكونون منهم. فانهم حدثوا عن شاعر عظيم ولعله ملتون الانكليزي انه لم يكن في جملة شعره ممن يستحقون التخليد ولذلك مات ولم يؤثر عنه شيء يذكر حتى اتفق لبعض من كان يبحث في اقواله انه وجد له قصيدة طنانة بلغ بها اوج الشعر وحسن التصور فنشرها له حتى عظم شانه وعدّ في طبقة المخلدين الدائمين وهو سيدوم مذكوراً ما دام في الارض من يعرف الانكليزية. وذكروا عن سرفنت وهو من رجال الروايات انه قضى كل حياته يكتب ويؤلف ويرسل الروايات الجيدة فلم تكن الا كثيرها ينشر ويطوى حتى وضع روايته المسماة « دون كيشوت » فانتشرت في جميع اقطار الارض حتى لا تجهلها الان امة من الامم وصار الرجل بها في جملة المخلدين مع انه يقال انه لو انتقدت سائر اقواله المفقودة لوجد بها ما يدل على حذقه واستحقاقه للتخليد ولكن الناس لم يعتبروا الا الحذق المذموم المتجمع ونسوا كل ما تفرق منه بحيث انه لو اصيبت تلك القصة بعارض ففقدت لما بقي لصاحبها شيء يعرف به

ولقد ذكروا عن المتقدمين والمتأخرين من اوربيين وسواهم اشياء كثيرة من هذا القبيل كنا ننقلها لزيادة الدلالة ولو كان فيها طول ولكننا وجدنا بين شعبنا العربي من كانوا كذلك فرأينا ذكرهم اولى وان كنا لا نذكر منهم الا العدد الاقل الذي تمثل للخاطر

فمما نذكره من بينهم الامام البوصيري رحمه الله فانه كان شاعراً مجيداً ولا شك ولكنه مع ما يبدو من فضله لم يكن يستحق ان يكون مخلداً الا انه لما نظم قصيدته الطنانة في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومطلعها

امن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدم

وقصيدته الاخرى الهمزية في مدح حضرته العلية ايضاً ومطلعها

كيف ترقى رقيك الانبياء يا سماء ما طاولتها سماء

فانه استحق بهما التخليد والذكر المؤبد مع ان غيره ممن لا يخلدون قد جاؤا باحسن من قوله في متفرق اشعارهم ولكنه قد وفق الى جمع المحاسن الشعرية في قصيدتيه حتى فاق غيره وفاق نفسه ايضاً اذ نسيت كل اقواله ولم يذكر له الا القصيدتان المشار اليهما . ولقد يقال ان البوصيري انما يخلد لانه مدح النبي المخلد فاكتسب من جلالته هذه الجلالة ولكن الحقيقة ان مئات غيره قد مدحوا النبي ثم ماتوا وماتت اقوالهم من بعدهم او ستموت

وممن يذكرون ايضاً ويعدون بمنزلة المخلدين الوزير ابن زيدون في قصيدته التي يقول في مطلعها

اضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وفي رسالته التي بعث بها الى الوزير ابن عبدوس على لسان ولادة بنت المستكفي وفي اولها يقول (ايها المصاب بعقله الموطن بجهله) فان ابن زيدون على كونه من فحول الشعراء والكتاب فلقد تنسى كل اقواله حتى لا يذكر له غير ما اشرنا اليه وبه قد صار من جملة المخلدين

ثم يذكر ايضاً في هذا الباب الطغرائي صاحب لامية العجم التي يقول في مطلعها

اصالة الرأي صانتني عن الخطلِ وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وابن زريق البغدادي في قصيدته التي يقول في اولها

لا تعذليه فان العذل يوجعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

والتهامي في قصيدتيه اللتين يرثي بهما ولده ومطلع اولاهما

اباالفضل طال الليل فاعذر خيالي تخيل لي ان الكواكب لا تسري

وفي الثانية

حكم المنية في البرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار

وابن الوردي في قصيدته الحكمية واولها

اعتزل ذكر الاغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل

فان هؤلاء الشعراء وكثيرين غيرهم لم نذكرهم لضيق المقام لم يكونوا من الشعراء البارعين الذين يجري سائر شعرهم على نمط الذي نقلناه عنهم واشتهروا به بل كانوا في سائر اقوالهم مقصرين الى حيث لا يذكرون الا الى المدى المحدود ولكنهم قد رزقوا ما رزقوه من قبيل التوفيق الشعري حتى خلدوا مع ان غيرهم قد كانوا احسن منهم ولكنهم لم يوفقوا هذا التوفيق او لم يجتهدوا لان تكون كل حسناتهم مجموعة بحيث يسهل حفظها والتحدث بها

اما سائر اسلافنا المخلدين من كبار المنشئين والشعراء والاطباء والفلاسفة فانهم لم يكن خلودهم عن توفيق اذ ليس لهم شيء واحد ليشتهروا به بل كان

اكثر ما قالوا وكتبوا جيداً يؤثر الى الابد ويجري على منواله الجميع وهوكله قد جاء من مواهب العقل السامي وشدة العناء والتحصيل ومثل هؤلاء يجلسون على عروش الابدية عن حق اكيد .

واما علماؤنا الحاضرون او كل من يكتب منا الان ممن يؤثر الجميع اقوال بعضهم ويتحدثون بها فانه لا يخلد منهم الا عدد لا يذكر من حيث كل ما يكتب ولكن بعضهم قد يخلد او يذكر كثيراً في بعض ما صنفوا وانشأوا وذلك لبعض حالات اختصوا بها وكانوا معها في حد المخترعين المبتدعين . واما كل هذا الجمع الكثيف الذي يكثر الناس من ذكر افراده ويطلقون على اقوالهم السنة الثناء من كل جانب حتى يوهموهم بانهم يكونون كذلك بعد الموت فانما هم ممن ينظر فيهم الى فلان لا الى ما قال لان اكثرهم من رجال المراتب او ارباب المكانات الوقتية ولكنهم عند الحقيقة لا يذكرون بشيء سواء كانت شهرتهم الحاضرة عن علم او غنى او فعال بل ان الواحد منهم لا يكاد يستقر في لحده حتى تكون الاكفان قد هيئت لدفن جميع ما قال من بعده

ليلة شاعر

سنح القريض وعنت الاوطارُ ومضى الهزيع واغفت السمارُ
تسري الهموم مع النجوم وانما هذي تفور وما لتلك مغار
تسري اليَّ فتهتدي فكأنني للمدلجات من الهموم منار
باتت تشبُّ النارُ بين جوانحي لا مثلما باتت تشب النار
أقصرت عن سلمى واقصر عاذلي فاراحني واراحه الاقصار
وصحا الفؤاد فما يهيج له الصبى دمن عفتها السافيات قفار
وجننت بالحكم الحسان وانها مما تجن بحسنه الاشعار
لا يطمعن ذو العرش فيها حلية هي للملوك وللعروش فخار

* * *

الشعر مضمار العقول فلا يكن لسوى المعالي ذلك المضمار
مدح الملوك اذا اريد به العلى فهو النجابة ليس فيه صغار
وارى الغنى ان لم يُفد اكرومة فطلابه بين البريّة عار
لولا المروءة ما ازدهاني درهم علقت يداي به ولا دينار
ولكنت بين الناس ازهد زاهد سيان عندي اليسر والاعسار

* * *

وارحمتا لذوي المعارف والنهى امسوا بمصر وما لهم امصار
لو كان لي ملك الكنانة لم يكن فيهم اخو فقر اليه يشار